منطلقات القيادة الإلهية من المنظور القرآني والروائي: القيادة الحسينية مثالا

الأستاذ الدكتور أحمد حسين الصفار
Dr Ahmed Al-Saffar (Prof.)
ahalsaffar@hotmail.com
57 Borrowdale Avenue
Manchester
UK
Tel: 00447878263504

مقدمة

إن كل تجارب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وآخرهم علي بن أبي طالب عليه السلام قد ورثها الحسين عليه السلام الشاهد على أمته. الحسين عليه السلام قد ورث الأنبياء علما، وعملا، وأسلوبا، ومنهجا. فهو القائد، والمصلح الرباني. إن الإصلاح يحتاج إلى قيادة صالحة حقّاً في نفسها، وتفقه معنى الإصلاح، وتؤمن به، وتحمل رسالته، وترى فيه واجباً إلهيا لابدّ منه، وتعرف طريقه ومنهجه، وتتحمل ثقل أعبائه، وتخلص له، ولا تخرج في أسلوبها عن خطّه، ولا تختفي عن رؤيتها وسائله ومعالمه. ومن أقدر من الحسين عليه السلام يوم كربلاء على ذلك؟! وكيف يكون إصلاح للأمة والقيادة غير صالحة؟! وحتما فإن حجم الإصلاح يتبع حجم صلاح القيادة، وأن رسالية الإصلاح تتبع رسالية القيادة. فلا بد من الرجوع الى القرآن في ذلك وندرس ذلك المنهج الرباني.

تناول هذا البحث عرض سنتي الاستخلاف، والاستبدال كما رسمهما القرآن الكريم في ضبط النظام الاجتماعي السليم، وسنة الاستخلاف على نوعين فردية متمثلة في الأنبياء والمصلحين. وجماعية، وأما سنة الاستبدال فتكون حينما يتم نقض المواثيق وهي كثيرة منها ميثاق النصرة وميثاق الولاية، والاستبدال نوعان: مادي: بمعنى استبدال وجودي، ومعنوي غير وجودي. وانتقل البحث لدراسة الإمامة الإلهية من نشأتها بخلق آدم الى وجودها وهو قائم ما قام الزمان، ودور الإمام الإلهي في هداية الناس ودفعهم ليعيشوا حياة الاستقامة.

واستعرض البحث دور القائد الإلهي بالعمل بسنة الابتلاء في اختبار أصحابه وتمت مقارنة بين منهجي القائد الإلهي طالوت والإمام الحسين عليه السلام فكانا على تطابق تام. واستقرأنا تميُّز دور الحسين عن أدوار الأنبياء عليهم السلام بأنه أكثر تعقيدا عما كان في تحركهم للتصدي للظلم، والضلال، والانحراف المجتمعي. وخاصة في تحديد عائدية مفهوم الشرعية في المجتمع. ثم انتقل البحث الى دراسة أخلاق القائد الإلهي ومنها الأبوة المجتمعية، وما يترتب عليها من قبول العذر، والحكمة، والحزم، وعدم التردد، والحلم، والبصيرة، وعدم استسلام القائد الإلهي لرغبات الناس، وأهوائهم، ودوام تمسكه بالحق. وقد تجسدت كل تلك

الصفات الربانية في القائد الإلهي الحسين عليه السلام فهو وريث الأنبياء وهو وليد بيت النبوة والإمامة ثم ينتهي البحث بالخاتمة والمصادر

سنن القرآن الكريم في ضبط النظام الاجتماعي

يعالج القرآن الكريم حركة، وتطور النظام الاجتماعيّ على ضوء موازين، ومعايير قدّمها القرآن الكريم بمفهومين على أقل تقدير وهما مفهوما الاستخلاف، والاستبدال.

أما سنّة الاستخلاف التي رسمها القرآن الكريم فلا تكون لأي أنسان؛ بل تكون للرجال الصالحين لقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ} [سورة الأنبياء: آية 105]، فيكون مؤدى الآية أن الأرض سيسكنها مجتمع بشري صالح يعبدون الله ويطيعونه، ولا يشركون به شيئاً كما يشير إليه قوله تعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ} [سورة النور: آية 55].

وتمثلت الخلافة القرآنية بنوعين: إما فردية كما في حال الأنبياء عليهم السلام والمصلحين لقوله تعالى: {يَدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ} [سورة ص: آية 26]، أو خلافة جماعية لقوله تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ ٱلأَرْضِ} [سورة الأنعام: آية 156]، وقوله تعالى بعد غرق قوم نوح ونجاة الصالحين فجعلهم مع نوح خلائف في الأرض: {فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا} [سورة يونس: آية 73]. ويجعل الله تعالى هؤلاء الخلائف –وهم الجماعة المؤمنة– قادةً، وملوكاً، وأعزّةً بعزّ الله سبحانه وَتعالى، وقد جاء في دعاء الحجة عليه السلام ما يؤكد ذلك: "وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ"[1].

يلتزم القرآن الكريم كسنه إلهية بمتلازمة الاستخلاف، والاستبدال، وكأن الاستبدال هو جهاز مناعي للاستخلاف فأي خلل في الخليفة، أو الخلائف يتحكم هذا الجهاز مباشرة بأداء دوره بالاستبدال. فعدم أداء دور الخليفة بالنصرة خلل يعالجه النظام الآخر وهو الاستبدال: {إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ} [سورة التوبة: آية 39] وكذلك في تعطيل المستخلَف في الولاء لله وطاعته فيتفعل نظام الاستبدال: {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُواْ أَمْثَالَكُم} [سورة محمد: آية 32]

---

1 الإقبال بالأعمال الحسنة، على بن موسى بن طاووس (ت: 664)، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1409، ج 1، ص 51

وأما سنة الاستبدال؛ وهي تعمل جنبا الى جنب لضبط حركة النظام الاجتماعي. فإذا ما انحرف المجتمع عن الصلاح وطاعة السنن الإلهية وزاغ عن المشروع الذي أراده الله سبحانه وتعالى بنقض المواثيق الإلهية، وهي كثيرة تلك المواثيق منها النصرة: {يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [سورة محمد: آية 7]، وميثاق الولاية لله: لقوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ} [سورة آل عمران: آية 32] وقوله تعالى: {يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلآخِرَةِ} [سورة الممتحنة: آية 13]، وتخليهم عن هذا الميثاق: {ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلعِزَّةَ للَّهِ جَمِيعاً} [سورة النساء: آية 139] وميثاق التولي مرهون بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر في ميثاق الطاعة: {يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} [سورة الأنفال: آية 20]، وغيرها كثير من المواثيق التي حددها القرآن الكريم في خلق نظام اجتماعي يسوده التكافل على نسق النظام القرآني.

والاستبدال نوعان: مادي ومعنوي، فما جرى لأقوام عاد وثمود ونوح ولوط وشعيب وفرعون وهامان ومن أمثالهم الذين سلط عليهم أنواع العذاب، واستأصل شأفتهم كان استبدالا ماديا بمعنى استبدال الناس بغيرهم فهو استبدال وجودي: {فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [سورة العنكبوت، آية 40]، فجازاهم الله سبحانه وتعالى بما يستحقون على ظلمهم، وهي السنة الإلهية التي لا معدل عنها فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسه، ومن ضلّ فعليها.

واستبدال معنوي بأن يكون الاستبدال بآخرين لكنهم يستنون بسنة الاستخلاف وبجميع المواثيق الإلهية، وعلى رأسها الصلاح، والتقوى مع الابقاء على المنحرفين دون ابادتهم: {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوٓاْ أَمْثَالَكُم} [سورة محمد: آية 38] بمعنى "يستبدل قوماً غيركم بأن يوفقهم للإيمان دونكم ثم لا يكونوا أمثالكم، بل يؤمنون ويتقون وينفقون في سبيل الله"[2]. ولمّا تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ...} قالوا: يا رسولَ اللهِ مَن هؤلاءِ الَّذينَ إنْ تولَّيْنا استُبدِلوا بنا ثمَّ لا يكونوا أمثالَنا فضرَب على فخِذِ سَلمانَ الفارسيِّ ثمَّ قال: "هذا وقومُه لو كان الدِّينُ عندَ الثُّريّا لَتناوَله رِجالٌ مِن فارسَ"[3].

2 تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج 18، ص 249

3 صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ح 7123

الإمامة الإلهية

إن الإمامة أو القيادة الإلهية قائمة منذ خلق الله آدم عليه السلام والى قيام الساعة: {وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [سورة البقرة: آية 30]، إذ لا تخلو الأرض من خليفة رباني في أي وقت كان، وقد جاء عن الرضا عليه السلام في حديث قال: "إن الإمامة خص الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: {إِنِّي جاعِلُك لِلنَّاس إِماماً} [سورة البقرة: آية 124]، ثم أكرمه الله بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، حتى ورثها الله النبي صلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى: {إِن أَوْلَى النَّاس بِإِبْراهِيم لَلَّذِين اتَّبَعُوه وهذَا النَّبِيُّ والَّذِين آمَنُوا والله وَلِيُّ الْمُؤْمِنِين} [سورة آل عمران: آية 68]، فكانت له خاصة، فقلدها صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأمر الله عزّ وجل على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله جل، وعلا: {وقال الَّذِين أُوتُوا الْعِلْم والْإِيمان لَقَدْ لَبِثْتُم فِي كِتاب الله إِلى يَوْم الْبَعْث} [سورة الروم: آية 56] فهي في ولد علي خاصة إلى يوم القيامة ؛ إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله"[4]. وحتما لا يتنافى من حيث المبدأ أن تكون الإمامة قائمة في نفوس الصالحين الدعاة الى الله تعالى هادية لهم الى الصراط المستقيم، "فالإمامة هي الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، وهي نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال، ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر، وإذ كانت تصرفاً تكوينياً وعملاً باطنياً فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري فهو الفيوضات المعنوية، والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة، ويتلبسون بها رحمة من ربهم.

وإذ كان الإمام يهدي بالأمر فهو متلبس به أولاً، ومنه ينتشر في الناس على اختلاف مقاماتهم؛ فالإمام هو الرابط بين الناس، وبين ربهم في **إعطاء الفيوضات الباطنية** وأخذها كما أن النبي رابط بين الناس وبين ربهم في **أخذ الفيوضات الظاهرية** وهي الشرائع الإلهية تنزل بالوحي على النبي، وتنتشر منه، وبتوسطه إلى الناس وفيهم، والإمام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها كما أن النبي دليل يهدي الناس إلى الاعتقادات الحقة، والأعمال الصالحة"[5]، فالإمام هو الرابط بين الناس، وبين ربهم، بأن يفعل أحكام الله على الأرض منهاجا وسلوكا ويتحدى كل من يحاول الإخلال بها أو تحريفها أو تشويهها، فله السلطة المعنوية والمرجعية، وعليه فإن "الخليفة الإلهيّ هو ذلك الإنسان الصالح الّذي يُؤتَى المُلك من قبل الله سبحانه وتعالى، ولذا فآدم عليه السلام هو أوّل من خُلق على وجه هذه الأرض، استخلفه الله ليكون حاكماً على خلقه، وهو قائد سياسيّ خلقه الله، ومنحه حقّ التصرّف في هذا الكون، تصرّف الحاكم والمَلِك، ليكون صاحب سلطة سياسيّة

---

4 إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الحر العاملي (ت: 1104)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1425، ج 2، ص 6

5 تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر سابق، ج 14، ص 304

على هذه الأرض. قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة: آية 30]"[6]. ويضيف الطباطبائي: "ان المراد من الملك هو السلطنة على الامور المادية والمعنوية فيشمل ملك النبوة والولاية والهداية وملك الرقاب والثروة"[7]، وتأتى هذه السلطنة من الله سبحانه وتعالى مباشرة الى من يشاء حيث يتوفر فيه الصلاح، والتقوى، وإقامة حدود الله تعالى: {قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة آل عمران: آية 26] ومن يستخلف بهذه المضامين يعمل ضمن ضوابط السنن الإلهية من الاستخلاف والاستبدال فينشط في التحرك الاجتماعي على الجانب الثاني في استبدال خطوط الانحراف، والزيغان عن طريق الهداية، واتباع السنن الإلهية، متمثلا ضوابط الاستبدال التي حددتها الآية الشريفة: {يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَأُوْلَٰئِكَ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ} [سورة آل عمران: آية 114]، ولنا في النبي شعيب عليه السلام مثلا، فهو يخاطب قومه في دعوته إليهم: {إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ ٱلإِصْلاَحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ} [سورة هود: آية 88] فيقول شعيب عليه السلام: "لا أسعى إلا في الإصلاح وإزالة الفساد، والخصومة، فلما أمرتكم بالتوحيد، وترك إيذاء الناس، فاعلموا أنه دين حق، وأنه ليس غرضي منه إيقاع الخصومة، وإثارة الفتنة، فإنكم تعرفون أني أبغض ذلك الطريق، ولا أدور إلا على ما يوجب الصلح، والصلاح بقدر طاقتي، وذلك هو الإبلاغ والإنذار، وأما الإجبار على الطاعة فلا أقدر عليه"[8] فأراد شعيب عليه السلام بذلك أن يرفعهم الى دائرة العزّ، والكرامة، والخروج من الوضاعة، وحياة الاحتيال والغش. وهذا الأسلوب يتماهى تماما مع دعوة الله جل وعلا الى دفع الناس ليعيشوا حياة الاستقامة: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [سورة هود: آية 117]. وكذلك ترتبط الإمامة بالعز إذ لا يصح أن يكون المصلح ذليلا مهانا، فذلك لا ينسجم مع المنهج الإلهي: {قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة آل عمران: آية 26] كما أن "الملك في نفسه موهبة من مواهب الله، ونعمة يصلح لأن يترتب عليه اثار حسنة في المجتمع الإنساني، وقد جبل الله النفوس على حبه والرغبة فيه، والملك الذي تقلده غير أهله ليس بمذموم من حيث إنه ملك، وإنما المذموم إما تقلد من لا يليق بتقلده كمن تقلده جوراً وغصباً، والعزة من لوازم الملك على الإطلاق"[9]، ومن هنا نقول أن المجتمع الصالح المستخلَف من الله تعالى على الأرض

---

6 سنن القيادة الإلهية في التاريخ، محسن الآراكي، دانشگاه اديان ومذاهب، قم، 1432، ج 1، ص 85

7 تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر سابق، ج 4، ص 375

8 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت: 606)، ج 18، ص 46

9 تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر سابق، ج 3، ص 132

هو ذلك المجتمع الذي امتثل لأوامر الله سبحانه ونهيه، فيكون بالتأكيد موعودا بالمُلك الإلهي المقرون بالعزّ. وعلى العكس من ذلك فإن الذلّ، والهوان ملازمان لمجتمع يستوجب الاستبدال لنكثهم العهود، ونقضهم المواثيق الإلهية، وهذا ما جرى لبني اسرائيل: {وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوۤءُ ٱلدَّارِ} [سورة الرعد: آية 25]

إن سنّة الاستبدال قائمة لإقامة مجتمع متوازن؛ وإلا كيف قرّع الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين كانوا ملازمين للرسول صلى الله عليه وآله إلا لأنهم كفروا ببعض من أنزل اليه فقال الله فيهم مذكّرا إياهم بأنه قادر على استبدالهم بقوم خيرا منهم: {عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [سورة المعارج: آية 41] وأن خيريّة الأمة المستبدلة تكون باستنانها بأوامر الله ونواهيه، ولذلك استبدل سبحانه وتعالى بني اسرائيل بالأمة الإسلامية التي وصفها بالخيّرة لالتزامها بشروط سنّة الاستخلاف من الإيمان بالله وطاعته له، وما يترتب عنهما من أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وباقي المواثيق الإلهية؛ فقال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ} [سورة آل عمران: آية 110]

غير أن هذه الأمة بدأت شيئا فشيئا تبتعد عن تلكم المواثيق الإلهية بالرغم من إيمانها، وهنا لابد من أن يغربل المؤمنين حسب سنّة الابتلاء الإلهي الجارية فيهم ليميز الطيب من الخبيث: {مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ} [سورة آل عمران: آية 179] وقيل أن في هذه الآية "خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق"[10].

القيادة الإلهية وسنّة الابتلاء

باستقراء حركة التاريخ نجد دائما بقاء قلة قليلة ممن ينجون من الابتلاء والاختبار إذ لا تصمد الكتلة المجتمعية الكبيرة أمام تلك المحن التي عصفت بهم، والفرقة الناجية صمدت بسبب إيمانها، وثبوتها على الحق، والتزامها بالمواثيق الإلهية، وواحد من تلك المواثيق طاعة الله والرسول، وأولي الأمر: {يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ} [سورة النساء: آية 59]، وقول الله تعالى: {وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ}، حيث "جمع فيها بين الرسول وأولي الأمر، وذكر لهما معاً طاعة واحدة"[11]،

10 التفسير الكبير، تفسير القرآن العظيم، الطبراني (ت: 360)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2008، ج 2، ص 166

11 تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر سابق، ج 4، ص 391

وفسّر الإمام الباقر عليه السلام: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ عليه السلام"[12].

إن الإمام الحسين عليه السلام قائد إلهي واجب الطاعة. وكان عليه أن يختبر الأمة بسنة الابتلاء ليميز الخبيث من الطيب كما فعل القائد الإلهي طالوت في اختبار أصحابه الذين خرجوا معه لمحاربة جالوت في اختبارين رئيسيين أسفر عنهما انقسام المدعين للخروج معه في سبيل الله الى أربعة أصناف: الأول من انسلخ عنه في بداية تجمعهم حينما رأوا أن في خروجهم خسران مصالحهم الدنيوية، أما الذين بقوا معه، وساروا قاطعين الصحراء، وقد أصابهم العطش، أختبرهم بالاختبار الثاني، وهو في امتناع شربهم لماء النهر فلم يمتثل لنهيه لهم شريحة منهم مما دفع طالوت لإرجاعهم، والاستغناء عنهم، وبقيت معه الشريحة المؤمنة بقيادته، وضرورة الجهاد في سبيل الله إلا أن هؤلاء متفاوتون بالبصيرة، والإدراك، ويقينية ارتباطهم بالله تعالى فمنهم من اغترف غرفة من الماء، وهؤلاء هم الذين ارتابوا حينما رأوا طالوت وجنوده فارتعبوا وظنوا بالله ظن السوء بعدم نصرته لهم، أما البقية الباقية الذين التزموا الطاعة الكاملة، ولم يتذوقوا الماء فهي الثلة المؤمنة القيادية، والمعوّل عليها بالإصلاح قال تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّيٓ إِلاَّ مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ} [سورة البقرة: أية 249-250]

ولأن الإمام الحسين عليه السلام يمتلك الوراثة التراكمية للعلم والانتفاع به، لقوله سبحانه وتعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ} [سورة فاطر: آية 32]. والحسين عليه السلام من ورث هذا التراث العظيم وهو من الصفوة الذين يتناولونه وينتفعون منه بتطبيقه والعمل به، وهو أحد الورثة الحقيقيين لميراث الأنبياء، وهم المؤمنون المخلصون الذين يتلون الكتاب الإلهي، ويطبقون وصاياه. وكما أن القرآن الكريم قد عدّ التمسك بالكتاب إصلاحاً، وهو من تربى في بيت عدّه الله تعالى بالآية الشريفة: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ} [سورة النور: آية 36]، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله

12 مرآة العقول، الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، دار الكتب الإسلاميّة، 1404، ج 3، ص 213

أنها "بيوت الأنبياء وبيت علي عليه السلام منها"[13] بل أفضلها[14]. فالحسين عليه السلام إذن هو وارث الأنبياء، والأولياء جميعا في الإصلاح والتغيير، وهذا ما نصت عليه زيارة وارث: "السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عِلْمِ الأَنْبِياءِ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكاتُه"[15] وكانت واقعة كربلاء تأكيداً لدعوة الأنبياء الذين صارعوا الباطل لإصلاح الأرض بعد إفسادها بالظلم والجور.

وكما فعل طالوت القائد الإلهي الذي استجاب للأمر الإلهي في تطبيق سنة الابتلاء على أصحابه، كذلك فعل الحسين عليه السلام في اختبار الرجال الذين خرجوا معه من مكة متوجهين الى العراق. وهناك اختباران على أقل تقدير ليفصل الرساليين عن غيرهم كما كان مع طالوت.

لقد تمايز أنصار الحسين عليه السلام عن أصحابه بالولاء والتفاني، وفهم القضية، وحمل مسؤوليتها تماما كما تمايز أنصار طالوت عن أصحابه.

إن الذين صحبوا القائديْن الإلهيين طالوت، والحسين عليه السلام انقسموا الى أربع مجموعات بعد إخضاعهم للسنّة الإلهية سنّة الابتلاء؛ إذ يمكننا تحديد توجهاتهم استنطاقا للروايات ودراسة للنص القرآني.

أما **المجموعة الأولى** فهؤلاء لم يكن لهم في الدين مصلحة غير مصالحهم الشخصية، وقد تخلوا عن الركب منذ خطواته الأولى. ولنا مثال في ذلك ما دار من حديث بين عبد الله بن عمرو بن العاص وبطة بن الفرزدق الشاعر قال له حين أخبره بلقائه للحسين حين خروجه من مكة: "ويلك، فهلا اتبعته، فو الله ليملكن ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه. قال (لبطة). فهممت والله أن ألحق به، ووقع في قلبي مقالته، ثم ذكرت الانبياء وقتلهم فصدني ذلك عن اللحاق بهم. قال: وكان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الامر وينتظرونه في كل يوم وليلة. قال: وكان عبد الله بن عمرو يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يظهر هذا الامر"[16]. وتساقط مثله الكثير ممن كانوا يحيطون بالحسين عليه السلام منذ خروجه من المدينة الى مكة، وكذلك تخلى عنه آخرون قد لحقوا به عليه السلام من مكة الى بعض المنازل في الطريق

---

13 بحار الانوار الجامعة لدُرر اخبار الائمة الاطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت 1111 ه) دار الإحياء، بيروت، 1983م، ج 66، ص 259

14 "قرأ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله هذه الآيةَ، فقام رجلٌ، فقال: أيُّ بيوتٍ هذه يا رسولَ اللهِ؟ فقال: بيوتُ الأنبياءِ. فقام إليه أبو بكرٍ فقال: يا رسولَ اللهِ هذا البيتُ منها؟ يعني بيتَ عليٍّ وفاطمةَ. قال: نعم مِن أفضلِها" انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، قي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986، ج 7، ص 89

15 مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت 1359هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، ص 540

16 تاريخ الامم والملوك للإمام ابى جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج 5، ص 387

الى العراق بعدما فهموا أن سيْر الحسين عليه السلام ليس فيه مغنم دنيوي مما أدّى إلى تفرّقهم، ولم يواصلوا معه المسير، ومثال على ذلك ما قاله أبو مخنف في هذا المجال: أخرج [الحسين] للناس كتابا في زُبالة[17] فقرأه عليهم. "بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن بقطر وقد خذلتنا شيعتنا، فمن احب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام قال: فتفرق الناس عنه تفرقا، فاخذوا يمينا وشمالا حتى بقي في اصحابه الذين جاؤا معه من المدينة، وانما فعل ذلك لأنه ظن انما اتبعه الاعراب لانهم ظنوا انه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة اهله فكره ان يسيروا معه الا وهم يعلمون علام يقدمون، وقد علم انهم إذا بيّن لهم لم يصحبه الا من يريد مواساته والموت معه"[18]، وهؤلاء الرجال كأصحاب طالوت الذين طالبوا نبيهم من قبل بالقتال في سبيل الله، ولما جمعهم طالوت للقتال مكث الى الأرض منهم جمع غفير فتفرّقوا عنه: {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ} [سورة البقرة: آية 246] عندما عرفوا هؤلاء الرجال أن تحركه فيه عناء وجهد واستشهاد تراجعوا وعادوا الى مصالحهم الدنيوية.

وأما **المجموعة الثانية** الذين انحازوا عاطفيا إلى معسكر الحسين عليه السلام لكنهم لا يميلون للذهاب معه للمعركة، وذلك "نتيجة لصراع داخلي عنيف بين نداء الضمير الذي يدعوهم إلى الانحياز نحو الحسين عليه السلام والقتال معه، وبين واقعهم النفسي المتخاذل الذي يدفع بهم إلى التمسك بالحياة الآمنة في ظل السلطة القائمة قد حَيّدوا أنفسهم بالنسبة إلى المعركة، فاعتزلوا معسكر السلطة، ولم ينضووا إلى الثوار"[19]، وهو ذات الموقف الذي اتخذه من رافق طالوت بعد أن قطعوا الصحراء فأصابهم العطش، وحينما رأوا النهر لم يمتثلوا لأوامر القائد الإلهي طالوت بألا يشربوا منه إلا أنهم تخلّوا عن طاعته وشربوا منه: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي} [سورة البقرة: آية 249]. لقد أدرك طالوت أنّ أكثرية جيشه من أفراد ضعفاء الإرادة وعديمي العهد، ما عدا بعض الأفراد المؤمنين، وهنا تخلّى

---

17 زبالة: بضم أوله: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهى قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية، وزبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، فيها حصن وجامع لبنى غاضرة من بنى أسد. وقالوا: سميت زُبالة بزبلها الماء أي بضبطها له وأخذها منه، أنظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص129

18 مقتل أبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الازدي الغامدي، المطبعة العلمية، قم، 1398هـ، ص 79

19 أنصار الحسين عليه السلام دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات، محمد مهدي شمس الدين، الدار الاسلامية، ص 56

طالوت عن الجزء الثاني من جنده الذين لم يمتثلوا لأمره بسبب عدم تجسد المنهج الرباني لديهم فأرجعهم الى ديارهم بعدما شربوا من النهر.

فالمجموعتان الثالثة والرابعة كلاهما تمتثلان للواجب الشرعي ويؤمنان بالقائد الإلهي، ولكنهما تتمايزان بالوعي، والبصيرة، ووفقا لذلك الشجاعة في اتخاذ القرار. قال تعالى على لسان طالوت: {وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّيٓ إِلاَّ مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ} [سورة البقرة: آية 249]، وهم من اغترف بيده وهؤلاء أثبتوا بعبورهم النهر أنهم يشكّون في النصر الإلهي وأنهم ليسوا دعاة ربانيين، والجزء النادر وهم الرساليون الذين يحملون همّ المسؤولية، ومشروعهم هو ذاته مشروع طالوت وهم الذين لم يطعموا الماء وعدّهم طالوت منه ومن أهل ولايته ومن خلصائه الذين عبروا النهر فكانوا الرجال الأشداء، وذووا ثقة عالية بنصر الله لتحقيق المشروع الإلهي. و –منيّة (منّي)– طالوت في المخلصين معه كتلك التي قالها الرسول صلى الله عليه وآله بحق سلمان المحمدي فقال: "سَلمانُ مِنّا أَهلَ البيتِ"[20]

فالمجموعة الثالثة من الذين رافقوا الحسين عليه السلام وصبروا على متاعب السير، وجعجعة جيش بن زياد لهم، وشدة العطش، والخوف الذي كان يرافقهم إلا أنهم حينما رأوا حشود جيش عبيد الله بن زياد لم يصبروا، بل ضعفت همتهم وخافوا البراز للحرب، قد برروا للحسين عليه السلام تراجعهم عن نصرته، ومن هؤلاء الضحاك بن عبدالله المشرقي، ومالك بن النضر الأرحبي اللذين تخاذلا وعادا أدراجهما الى الدعة والراحة. مع أنهما يؤمنان بأحقية الحسين عليه السلام ومشروعية نهضته، لكنهما ليسا على بصيرة من أمرهم. يحكي الضحاك قائلا: "قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين فسلّمنا عليه ثم جلسنا إليه، فرد علينا ورحّب بنا وسَألنا عما جئنا له؟ فقلنا: جئنا لنسلّم عليك، وندعو الله لك بالعافية، ونحدّث بك عهدا ونخبرك خبر الناس، وانّا نحدّثك انهم قد جمعوا على حربك فرأيك. فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فتذممنا وسلّمنا عليه ودعونا الله له، قال: فما يمنعكما من نصرتي؟ فقال مالك بن النضر: عليّ ديْن ولي عيال، فقلت له: ان عليّ ديْنا، وان لي لعيالا، ولكنك ان جعلتني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلا قاتلت عنك ما كان لك نافعا قال: قال فأنت في حل، فاقمت معه"[21]. وهؤلاء وإن كانا يعرفا الحسين عليه السلام وقضيته ويؤمنا به إلا أنهما لم يحملا هم القضية، ولم يفهما النهضة المباركة وأهدافها، تماما كأصحاب طالوت الذين خبروا قيادته وآمنوا بها إلا أنهم لم يندكّوا تماما في مشروعه الإلهي. هؤلاء هم الذين عدّوا مشاركتهم مع طالوت في معركته ضد عدوه هي مجرد إسقاط واجب التكليف الشرعي لا أكثر، ولم يكترثوا كثيرا للتفاصيل الدقيقة، وكمؤشر على ذلك ما ذكره القرآن الكريم في أنهم

---

20 الجامع الصغير، السيوطي (ت: 911)، ح 4680

21 تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج 5، ص 108

علموا برغبة طالوت أن لا يشربوا من ماء النهر البتة، إلا أنهم عملوا بالإجازة منه بعد إلحاحهم عليه، فهؤلاء لم ينقادوا الى تنفيذ رغبته كاملة فكانوا الاستثناء الذين لم يتشربوا المشروع الإلهي: {إِلاَّ مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ} [سورة البقرة: آية 249].

هؤلاء الرجال فشلوا حينما جاوزوا النهر، وتفاجأوا بضخامة جيش جالوت أمامهم، وهنا أفصح موقفهم عن ضعف إيمانه بالله ونصره فظهرت حقيقة سريرتهم وهوانهم في نصرة طالوت، وليس مستغربا بأن {قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ} [سورة البقرة: آية 249]، وليس بعيدا أيضا أن نرى ذات التصرف من أهل الكوفة الذين كانوا يرفعون أيدهم بالدعاء لنصر الحسين عليه السلام وهم جلوسا يتفرجون، وكيف يكون النصر إن لم يؤازروه؟، هؤلاء الذين قال الحصين بن عبد الرحمن عنهم "أن أشياخا من أهل الكوفة لوقوف على التل يبكون ويقولون: اللهم أنزل نصرك، قال: قلت: يا أعداء الله، ألا تنزلون فتنصرونه!"[22]. هؤلاء يؤمنون بالعمل ولا يريدون تحمل المسؤولية، وينظّرون للعمل دون المباشرة فيه، وهذا عبد الله بن مطيع العدوي ينصح الحسين عليه السلام بألا يعرض لبني أمية فيقول بعد كلمات: "أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحد أبدا. والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض لبني أمية... والله لئن هلكت لنسترقن بعدك"[23] وهذه الكلمات تكشف عن إيمانه بضرورة التغيير من غير التزام بمسؤولياته، وإلا فلماذا الخوف من أن يُسترقوا بعده؟

والمجموعة الرابعة وهم الواعون، الذين يتمثلون قائدهم في مشروعه وأهدافه، فهم "الدعاة الى طاعة الله والقادة في سبيله"[24] ويعملون بإخلاص لإنجاز المشروع الإلهي وإتمامه سواء تحقق ذلك في حياتهم أم بدونها، وهؤلاء على بصيرة، ووعي تامّين. هذا الصنف من الناس، قال الله عز وجل فيهم: {وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} [سورة الحشر: آية 9]. إن وضوح الهدف الذي امتاز بها أصحاب الحسين عليه السلام الخلّص الذين ثبتوا معه، وكانوا على بصيرة من أمرهم لم يهولهم كثرة من قابلهم من العسكر فناصروه وآزروه واستحقوا فعلا أن يكونوا من أنصاره، وهم الذين كان الحسين عليه السلام يَعنيهم هاتفاً بصوته المدوّي ليسمع الغافلين من أهل الكوفة آنذاك ومن بعدهم الى قيام

---

22 تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 392

23 تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج 4، ص 298

24 دعاء الفرج، أنظر: الإقبال بالأعمال الحسنة، بن طاووس، مصدر سابق، ج 1، ص 191

الحجة عليه السلام ولسان حاله يقول متمثلا قول عيسى بن مريم عليه السلام: {قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ} [سورة آل عمران: آية 52]. قال عليه السلام حينما بقي وحيداً بعد مقتل أصحابه وأهل بيته: "هل مِن ناصر ينصرنا وهل مِن ذابٍّ عن حرم رسول الله"[25] "إنَّما قالها الحسين عليه السلام لأجل إقامة الحُجَّة على الآخرين، ولم يك محتاجاً إلى أصحابه في الدفاع عنه، بل كان لأجل اختبار هِممهم في نصره وفي السير في سبيل الشهادة، وتحصيل طاعة الله، ورضاه سبحانه من هذه الناحية، إلاّ أنّهم مع ذلك لم يفكّروا طرفة عينٍ في الذهاب، بل أدركوا بكلّ وضوح ضرورة البقاء مع الحسين ونيل الشهادة بين يديه"[26]. هؤلاء لهم إرادة إيمانية عالية، أنظر ما قاله سعيد بن عبد الله الحنفي للحسين عليه السلام: "لا والله يابن رسول الله، لا نخلّيك أبداً حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصيّة رسوله محمّد صلى الله عليه وآله، والله لو علمت أنّي أُقتل فيك ثمّ أُحيا، ثمّ أُحرق، ثمّ أُذرّى يُفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حِمامي دونَك، وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ثمّ أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟ وقام زهير بن القين وقال: والله يابن رسول الله، لوددت أنّي قُتلت ثمّ نُشرت ألف مرّة وأنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن نفس هؤلاء الفتيان من إخوانك وولدك وأهل بيتك"[27].

وهم ذات الرجال الذين اذعنوا لأمر طالوت، ولم يشربوا من ماء النهر طاعة وولاء له {قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ} [سورة البقرة: آية 249].

وهكذا الحسين عليه السلام فعل مع أصحابه الذين بقوا معه بعد الاختبار الأول الذي أدى إلى تفرّق الكثيرين من الذين رافقوه عن رغبة وطمع، وبقي معه هؤلاء الرجال القلة الذين عرّفهم التاريخ فيما بعد باسم (أنصار الحسين أو أصحاب الحسين) وهم الذين استشهدوا بين يديه عليه السلام. لقد اجتازوا اختبار ثان حينما حثّهم الحسين عليه السلام على النجاة بأنفسهم في ليلة العاشر من المحرم الحرام قائلا لهم: "هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا. ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم، ومدائنكم حتى يفرج الله، فان القوم انما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري. فقال له أخوته وأبناءه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا. بدأهم بهذا القول العباس بن علي، ثم

---

25 اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (664 هـ)، ج 1، ص 49

26 أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، السيد محمّد باقر الصدر، ج 1، ص 71

27 أعلام الهداية الإمام الحسين سيد الشهداء، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، 1422، ج 1، ص 189-190

إنهم تكلموا بهذا ونحوه... وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد فقالوا: والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا"[28].

فالحسين عليه السلام كما الأنبياء عليهم السلام تصدوا للفساد، وأصلحوا ما تعاقبته الأجيال من سلوكيات، وممارسات خاطئة بعيدة عن القيم الربانية التي شرعها سبحانه وتعالى، والحسين عليه السلام –محور حديثنا– عمل بالتأكيد على إصلاح ما أفسده النظام الأموي بحق المسلمين. ولذلك نرى الحسين عليه السلام قد تحرك وعظا، وتحذيرا، وإرشادا في كل منطقة نزل فيها وقد أوضح نقاط الفساد، والعمل على محاربتها ليلا ونهارا. عملا بالمنهج الإلهي، والتزاما بسنة الرسول صلى الله عليه وآله ففي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: "والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم"[29]، ونلاحظ في كلام الإمام الحسين عليه السلام عندما شاهد صفوف أهل الكوفة بكربلاء قد اجتمعوا أمامه كالليل المظلم والسيل العارم، قال: "فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا وَبِئْسَ الْعِبَادُ أَنْتُمْ أَقْرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ وَآمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ أَنْتُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِتْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ لَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ فَتَبّاً لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[30].

بدأ الحسين عليه السلام فردا، وخلق وعيا جماهيريا يتصدى للظلم والفساد، فانطلقت القيادة لتكون جماعية بالبداية، وإن كانت تحت ظله الشريف، والتي استمرت بعد استشهاده تحمل في الأجيال. فالقيادة الإلهية مستمرة دائمة في نفوس المخلصين، وحاضرة ما دار الزمان. فحضور القيادة الإلهية، وهي المحرك، والمتصدي بوجه الظلم، والفساد وكذلك حضور الأمة الواعية المرشحة لاستخلاف الأرض تلبي دعوة القائدة الإلهي فينزل الله نصره عليهم {يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ} [سورة محمد: آية 7]، وليس بعيدا، فقد استجابت الأمة الواعية لفتوى القائد الإلهي السيد علي السيستاني في الجهاد ضد

28 مقتل أبي مخنف، مصدر سابق، ص 109–110

29 كنز العمال، المتقي الهندي (ت: 975)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989، ح 5527، ج 3، ص 67

30 مناقب آل أبي طالب، ابن شهر أشوب (ت: 588)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ج 4، ص 100

داعش[31]. لقد لبّت الجماهير المؤمنة الواعية دعوة القائد المرجع إلى إقامة العدل بالوقوف بحزم ضد الفساد الداعشي، ونصروا الدين الإلهي، فاكتملت بذلك مقوّمات النصر الإلهي لهذه الأُمّة واستحقّت وسام الخلافة الإلهيّة، فنزل عليها الإمداد الإلهي بالنصر، والتأييد وتبوّأت مكانها اللائق بها، وهو الشهادة على سائر الأُمم امتثالا لقوله عز وجل: {وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} [سورة البقرة: آية 143]. وأنهت هذه الفتوى نشاط داعش الممنهج. واعتبرت غطاءً شرعيا، ودعما معنويا لقوات الحشد، والفصائل المنطوية تحته. كان القائد الإلهي حاضرا، والأمة الواعية جاهزة فتحقق النصر الإلهي فكان لزاما على القائد بالتصدي مباشرة. لقول امير المؤمنين: "لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها"[32]

تميُّز دور الحسين عن أدوار الأنبياء عليهم السلام

وهنا لابد من التأكيد على نقطة في غاية الأهمية هي تميز دور الحسين عليه السلام عن أدوار الأنبياء عليهم السلام بأنه أكثر تعقيدا عما كان في تحركهم للتصدي للظلم، والضلال، والانحراف المجتمعي. والحسين عليه السلام كالأنبياء عليهم السلام تحركوا في مجتمعاتهم لتثبيت قوة الحق، والقيم السماوية أمام الباطل، والقوى المتجبّرة الشيطانية المتمثلة باعتناقهم للعقائد المنحرفة؛ إلا أن الأنبياء عليهم السلام عملوا في مجتمعات فيها واجهتان ظاهرتان، وقوتان متضادتان وهما: قوى الحق، وقوى الباطل. وأن كامل الشرعية لأهل الحق ولا لبس فيها. بينما تحاول قوى الضلال في إجهاضها، وقتل دعاة الشرعية هذه. وتتمثل الشرعية الإلهية وهي الشرعية الحقّة في الأنبياء، مما أهلهم للتصدي بوجه العقائد الضالة، أما ما قام به سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام من بعد أبيه وأخيه، أنه قد واجه ما هو أكثر تعقيداً وإشكالا؛ فالمجتمع هو مجتمع مسلم وأنه في ظل الشريعة الإسلامية بمعنى أن هناك عقيدة واحدة ولا وجود للشرك، والحسين عليه

---

31 أفتت المرجعية في النجف الأشرف ومن خلال خطبة الجمعة في 13 يونيو/ حزيران 2014 بوجوب الجهاد الكفائي، والذي دعت فيه كل من يستطيع حمل السلاح بالمشاركة في القتال إلى جانب الأجهزة الأمنية الحكومية، فاستجاب أبناء الشعب العراقي إلى فتوى المرجعية ونصها: إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله، وأعراض مواطنيه، وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، [...] ومن هنا فإن على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح، ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم، وشعبهم، ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية لتحقيق هذا الغرض المقدس.

32 شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (ت: 656)، دار إحياء الكتب العربية، 1959، ج 1، ص 202

السلام يتمتع بالشرعية الإلهية بنص أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله[33] وهي شرعية خاتم الأديان، ولكن هناك سلوكان يتمايزان في التدين: مجتمع التدين الصحيح، ومجتمع التدين الزائف الذي عمل عليه النظام الأموي، وكرّس كل قواه لتثبيته. وهنا تكمن الخطورة في دوره عليه السلام. فقد سلك عليه السلام منهج جده صلوات الله عليه وآله، وأبيه، وأخيه عليهم السلام بأن حدد مفهوم الشرعية في المجتمع ولمن تعود. فقد التفّ النظام الأموي على الإسلام المحمدي بدهاء، ومكر، وخديعة من جهة؛ وغفلة الناس، وبالقوة، والبطش، من جهة أخرى قد عمدت الى سلب الشرعية من أصحابها وتقمصها، ثم أضفى عليها بما يسيء للشريعة السمحاء بأحاديث موضوعة، وبطش، وتنكيل بمن يقف بوجه النظام الأموي خدمة لمصالحه، وكذلك بإحكام قبضته على زمام الحكم. مما دفع الإمام الحسين عليه السلام الى أن يثير الوعي، ويشجع الناس في تلمّس الشرعية فيمن تكون وحثهم على الالتفاف حول أهلها. فشخص أولا السلوك الزائف الذي ابتدأه معاوية، ومن بعده ابنه يزيد اللذان سلبا الشرعية الإلهية، وبهذا دفع الطائش يزيد بقوة هذه الشرعية التي ادّعاها أن يفسد ويحرّف في قيم الشريعة السمحاء مما جعل الإمام الحسين عليه السلام وبحزم أن يثير غبار الجهل، والغفلة عن عقول الناس، وينبههم الى خطورة هذا الانحراف. ثم عمل الحسين عليه السلام في منهج إصلاحه، ونهضته بشكل واضح، وأكده في كل كلماته الشريفة الى تثبيت الشرعية لنفسه والدعوة لها، التي وضحها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: "ألا وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذل عن أعناقكم، وبنا فتح لا بكم، وبنا يختم لا بكم"[34]، فلم يفرط سلام الله عليه في بند من بنود منهج إصلاحه، وسار على ذلك أنصاره، وحملوا ذات المنهج، وأصبحوا حسينيو المنهج والسلوك؛ فكان برنامجه الإصلاحي أن يأتي بالبديل الإلهي للمنهج وهو عامل بسنة الاستبدال، ولم يكتف بالدعوة لاستئصال الشرعية الفاسدة ليزيد، بل بالإضافة الى ذلك التأكيد على اتباع المنهج الإلهي. أنظر لكلام معاوية في محاولة منه لبناء الشرعية لابنه يزيد: "قال معاوية: أما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟ فقال معاوية: مهلا عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك. ثم التفت معاوية إلى الناس وقال: أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض، ولم يستخلف أحدا، فرأى المسلمون أن يستخلفوا

33 اجتمع أهل القبلة على أن النبي صلى الله عليه وآله وقال: الحسن والحسين إمامان قاما، أو قعدا. واجتمعوا أيضا أنه قال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. أنظر: بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج 43، ص 291

34 شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (ت: 656)، دار إحياء الكتب العربية، 1959، ج 1، ص 276

أبا بكر، وكانت بيعة هدى، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة، رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر بكتاب الله، وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، اختارهم من المسلمين، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظرا لهم بعين الإنصاف."[35]

أخلاق القيادة الإلهية

تمتاز الروح القيادية بسعة أفق وعلو خلق يجعل منه يتخلق بأخلاق الأبوة "انا وعلي أبوا هذه الأمة"[36] وما يتحلى بشكل عام من مكارم الأخلاق فهناك أخلاق أخرى يمتاز بها القائد نأخذ بعض النماذج ومنها: **قبول المعذرة**، لم يعقب الحسين عليه السلام على تراجع، وتخاذل كلا من الضحاك بن عبدالله المشرقي، ومالك بن النضر الأرحبي، واكتفى بقوله: "حسبي الله ونعم الوكيل، وانتما في حل"[37]. وكذلك كان موقف النبي موسى بقبوله اعتذار النبي هارون عليهما السلام: {قَالَ يا هارُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا} [سورة طه: آية 22]. ويتمتع القائد الهي **بالحكمة**، وحسن التصرف عندما ينحسر عنه الناس في المواقف الحاسمة كموقف موسى عليه السلام من قومه إذ قالوا له: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ} [سورة المائدة: آية 24]، وذات الموقف كان مع عليّ عليه السلام مع أهل الكوفة فقال: "قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان"[38]. ومن أخلاق القائد الإلهي: **الحلم**. ونجد ذلك في قول هود عليه السلام حينما اتهمه قومه علانية بالسفاهة فأجابهم: {قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [سورة الأعراف: آية 67]، وكذلك جواب الحسين عليه السلام حينما اعترضه معاوية بالقول: "أما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟"[39] ومن بين الأخلاق القيادية: **الحزم وعدم التردد**. وهذا القائد موسى عليه السلام حينما تثاقل وانهزموا نفسيا قال كلمته بكل قوة: كلا، {فَلَمَّا تَرَٰءَى ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [سورة الشعراء: آية 61-62]. ولمّا رأى الحسين عليه السلام بأن وظيفته، وتكليفه يحتمان عليه السير في إصلاح ما فسد في الأمة، ليحق الحق ويبطل الباطل، فأشار عليه السلام في خطبته موقفاً

35 الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت: 276)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ج 1، ص 212
36 مناقب آل أبي طالب، ابن شهر أشوب، مصدر سابق، ج 2، ص 300
37 تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج 5، ص 108
38 الفروع من الكافي، الكليني (ت: 329)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ج 5، ص 6
39 الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت: 276)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ج 1، ص 212

صارماً وحازماً من بيعة يزيد بن معاوية قائلا: "أَلا تَرَونَ أن الحَقَّ لا يُعملُ بهِ، وأن الباطل لا يُتناهى عنهُ، ليرغَبِ المؤْمنُ في لقاءِ اللهِ مُحقّاً، فإنّي لا أَرى المَوتَ إلا سعادةً، ولا الحياةَ مع الظالِمين إلا بَرماً"[40]. ومن الميزات الأخرى هي عدم استسلام القائد الإلهي لرغبات الناس وأهوائهم ودوام تمسكه بالحق وهذا ما تجلى عن موقف النبي صلى الله عليه وآله من طلب قريش أن يرضخ لأهوائهم باقتراحهم آيات معجزة، لا يقوى على أكثرها إلا القدرة الغيبية الإلهية ومنها ما تستحيل بالذات[41]، وقد أجابهم صلى الله عليه وآله: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً} [سورة الإسراء: آية 93]، وكان موقف أبي عبد الله الحسين عليه السلام من الذين اقترحوا عليه في عدم التوجه الى كربلاء كثيرون لكنه عليه السلام ومنهم عبد الله بن الزبير[42] وأبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي[43] وعبد الله بن جعفر[44] وعبد الله

40 تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج 4، ص 305

41 [سورة الإسراء: الآيات:90-93]

42 قال عبدالله بن الزُّبير للحسين عليه السلام: [و] لو جئتَ إلى مَكّة فكنت بالحرم، فقال الحسين [بن عليٍّ] عليه السلام: لا نستحلّها ولا تستحلّ بنا، ولأن أُقْتَل على تَلِّ أَعْفَرَ أحبُّ إليَّ مِن أن أُقْتَل بها، أنظر: كامل الزّيارات، ابي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي، مكتبة الصدوق، ج 1، ص 72

43 أتاه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال يا ابن عم إن الترحم نظارتي عليك وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك قال: يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش ولايتهم فقل، قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره فأذكرك الله في نفسك فقال: جزاك الله يا ابن عم خيرا فقد اجتهدت رأيك ومهما يقضي الله من أمر يكن فقال أبو بكر إنا لله عند الله نحتسب أبا عبد الله، أنظر: تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، ج 14، ص 209

44 كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إليه كتابا يحذره أهل الكوفة ويناشده الله أن يشخص إليهم فكتب إليه الحسين إني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني بأمر أنا ماض له، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 209

بن عباس[45] وأبو سعيد الخدري[46] وأبو واقد الليثي[47] وجابر بن عبد الله[48] وأبو سلمة بن عبد الرحمن[49] والمسور بن مخرمة[50] وعبد الله بن مطيع[51] وعبد الله بن عمر[52]، وعمرو بن سعيد بن العاص[53]، وجابر

45 قال له ابن عباس أين تريد يا ابن فاطمة؟ قال العراق وشيعتي، فقال: إني لكاره لوجهك هذا تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملة لهم أذكرك الله أن تغرر بنفسك، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 208

46 قال أبو سعيد الخدري غلبني الحسين بن علي على الخروج وقد قلت له اتق الله في نفسك والزم بيتك فلا تخرج على إمامك، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 208

47 قال أبو واقد الليثي بلغني خروج حسين فأدركته بملل فناشدته الله أن لا يخرج فإنه يخرج في غير وجه خروج إنما يقتل نفسه فقال لا أرجع، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 208

48 قال جابر بن عبد الله كلمت حسينا فقلت اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني وقال سعيد بن المسيب لو أن حسينا لم يخرج لكان خيرا له، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 208

49 قال أبو سلمة بن عبد الرحمن قد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 208

50 كتب إليه المسور بن مخرمة إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 208

51 قال له عبد الله بن مطيع أي فداك أبي وأمي متعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذنا خولا وعبيدا، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 207

52 كان ابن عمر يقول غلبنا حسين بن علي بالخروج ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ألا يتحرك ما عاش وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإن الجماعة خير، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 207

53 كتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص إني أسأل الله أني يلهمك رشدك وأن يصرفك عما يرديك بلغني أنك قد اعتزمت على الشخوص إلى العراق فإني أعيذك بالله من الشقاق فإن كنت خائفا فأقبل إلي فلك عندي الأمان والبر والصلة، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 209

بن عبد الله[54]؛ بل وحتى أخيه محمد بن الحنفية[55] الذي منعه من الذهاب الى العراق وكذلك حبس ولده من نصرة الحسين عليه السلام[56] كل هؤلاء وغيرهم عارضوا خروج الحسين عليه السلام بتبريرات مختلفة وبعضهم دعاه لبيعة يزيد أو للانعزال أو الذهاب الى اليمن[57] بعيدا عن سلطة يزيد، لكنه عليه السلام رفضها كلها لأنه يعلم هدفه ومشروعه ببصيرة وإدراك لم يستوعبها غيره. إن موقف الحسين عليه السلام ذو البصيرة الثاقبة، والذي تربى في بيت النبوة وسمع الآية الشريفة ماض في سبيله: {**قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**} [سورة يوسف: آية 108]، وهناك صفات عديدة أخرى أنه لا يأخذ أجرا وإنما أجره على الله، وقوله يتطابق مع فعله، ووضوح خطابه وصراحته، ولا يلتفت الى تحقيق مآربه الشخصية، ويتوكل في عمله على الله تعالى، ويعمل بحدود استطاعته

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة الى أن هناك تماثلا بين ما قام به القائد الإلهي طالوت وما قام به الحسين عليه السلام في نهضة. حيث خطى الحسين عليه السلام وهو القائد الإلهي ذات الخطوات التي اختطها القادة الإلهيون الذين أشار اليهم القرآن الكريم كطالوت. فكان الإمام الحسين عليه السلام القائد الإلهي ربانياً في

---

54 قال جابر بن عبد الله: كلمت حسينا فقلت: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض. فو الله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني، أنظر: أنظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم أحداث الأسنان]، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، 1993، ج 1، ص 445

55 قدم عليه من خف معه من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلا ونساء وصبيان من إخوانه وبناته ونسائهم وتبعهم محمد بن الحنفية فأدرك حسينا بمكة وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا فأبى الحسين أن يقبل، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 211

56 حبس محمد بن علي ولده فلم يبعث معه أحدا منهم حتى وجد حسين في نفسه على محمد وقال ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه فقال: محمد وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج 14، ص 212، وانظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، مصدر سابق، ج 1، ص 451

57 قال محمد بن الحنفية للحسين عليه السلام: انزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار فيها فهو الذي تحب وإن نبَت بك لحقت باليمن، فإن اطمأنت بك الدار فيها فسبيل ذلك وإن نبَت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، أنظر: نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويليه نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور، الشيخ عباس القمي، المكتبة الحيدرية، ج 1، ص 66

كل حركة وفعل، في الخطابة والتوجيه، وفي القيادة وصنع القرار، وفي التحكم والسيطرة، وفي الابتلاء والتمحيص، لأصحابه وأنصاره.

المصادر

1. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الحر العاملي (ت: 1104)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1425
2. الأخبار الطوال، أبو حنيفة احمد بن داود بن ونند الدينوري (ت: 282)، منشورات الشريف الرضي، قم
3. أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، محمد باقر الصدر
4. أعلام الهداية الإمام الحسين سيد الشهداء، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، 1422
5. الإقبال بالأعمال الحسنة، على بن موسى بن طاووس (ت: 664)، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1409
6. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت: 276)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع
7. الإمامة والقيادة، كاظم الحسيني الحائري، مكتب آية الله كاظم الحائري، 1995
8. أنصار الحسين عليه السلام دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات، محمد مهدي شمس الدين، الدار الاسلامية
9. بحار الانوار الجامعة لدُرر اخبار الائمة الاطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت 1111 ه) دار الإحياء، بيروت، 1983م
10. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (ت: 808)، دار إحياء التراث العربي، بيروت
11. تاريخ الامم والملوك للإمام ابى جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت
12. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995
13. ترجمه ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الامام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينه دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت 571 ه)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ط2، 1414ه
14. التفسير الكبير، تفسير القرآن العظيم، الطبراني (ت: 360)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2008
15. ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانيّة، محمّد مهدي شمس الدّين، المؤسسة الدوليّة للدراسات والنشر، بيروت، ط7، 1417 ه

16. الجامع الصغير، السيوطي (ت: 911)
17. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، 1993
18. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار مع تطبيق النصوص الواردة فيها على بحار الأنوار، الشيخ عباس القمي، دار الأسوة للطباعة والنشر
19. سنن القيادة الإلهية في التاريخ، محسن الآراكي، دانشگاه اديان ومذاهب، قم، 1432
20. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد (ت: 656)، دار إحياء الكتب العربية، 1959
21. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993
22. الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت
23. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت: 314)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، 1411
24. الفروع من الكافي، الكليني (ت: 329)، دار الكتب الإسلامية، طهران
25. كامل الزّيارات، ابي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي، مكتبة الصدوق
26. كنز العمال، المتقي الهندي (ت: 975)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989
27. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، 1414
28. اللهوف على قتلى الطّفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (664 هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر
29. المأتم الحسيني مشروعيته وأسراره، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي
30. المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، 1421 هـ
31. مرآة العقول، الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، دار الكتب الإسلاميّة، 1404
32. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (ت 346)، منشورات دار الهجرة، قم، 1984
33. معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
34. مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت 1359هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة
35. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت: 606)

36. مقتل أبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الازدي الغامدي، المطبعة العلمية، قم، 1398هـ
37. من وحي الثورة الحسينية، هاشم معروف الحسني، دار القلم، بيروت
38. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر أشوب (ت: 588)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف
39. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، قي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986
40. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، 1425
41. موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، بيروت
42. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي
43. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويليه نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور، الشيخ عباس القمي، المكتبة الحيدرية
44. الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين، عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، ط 3، 1404 هـ.